المعلم اسعد الشدودي

لا يخفى ان الارتقاء عمل مستمرٌ فالآلة البخارية التي تصنع اليوم أرقى من الآلة البخارية التي صنعت منذ عشرين سنة واكثر منها اتقانًا . والنول الذي يصنع اليوم اصلح من النول الذي صُنع منذ عشر سنوات وقس على ذلك آلات عمل الورق واستخراج المعادن ونسج الطرابيش وعمل الابر والازرار والمركبات والبنادق والمدافع وكل اعمال الناس تقريبًا . وهذا الارتقاء يشمل اكثر العلوم والفنون فعلم الطب وعلم الزراعة وعلم الجيولوجيا وعلم الفلك وما اشبه من العلوم آخذة كلها في الارتقاء عامًا فعامًا . ولكن من العلوم والاعمال ما بلغ حد الاتقان في الزمن الماضي وما يمكن ان يبلغ حد الاتقان من غير ارتقاء مستمرّ كعلم الحساب وعلم الهندسة وقرض الشعر وعمل التماثيل . فان قواعد علم الحساب الشائعة اليوم ليست اتم ولا اسهل من قواعد علم الحساب التي كانت معروفة منذ مئتي سنة . وقواعد علم الهندسة المستعملة اليوم قلما تفوق قواعد الهندسة التي وضعها اقليدس منذ اكثر من الفي سنة . والشعر الذي ينظم اليوم ليس ابلغ من شعر هوميروس عند اليونان او المتنبي عند العرب والتماثيل التي تصنع اليوم لا تفوق التماثيل التي صنعها اليونان والرومان في سالف عهدهم . اي ان التفوّق في بعض العلوم والفنون يأتي دفعة واحدة يأتيه بعض النوابغ الذين ينشأون في بعض العصور

ولقد كان المرحوم المعلم اسعد الشدودي نابغةً في العلوم الرياضية التي اتصل الى معرفتها كالحساب والجبر والهندسة وحساب المثلثات وما بني عليها من العلوم الميكانيكية . كان عقلهُ رياضيًا كما كانت عقول الرياضيين الكبار ولو لم يكتشف قانونًا جديدًا في علم الرياضيات ولا وضع اسلوبًا جديدًا فيهِ فكان اذا عُرضت عليهِ مسألة مما يمكن حلهُ بالجبر او بالهندسة غاص عقلهُ فيها الى ان يحلها

دعي للتعليم في المدرسة الكلية السورية الاميركية في اول انشائها سنة ١٨٦٦ وكنا من تلامذته فيها حينئذٍ فدرّسنا الجبر والهندسة والتوغرثمات والمثلثات المستوية والكروية والمساحة وسلك الابحر . ودعي ايضًا لتعليم الفلسفة الطبيعية فاستخلص من كتاب لومس وكتاب اولمستد كتابهُ المعروف بالعروس البديعة في علم الطبيعة وعني بالقسم الرياضي منهُ لجعله مبنيًا على الجبر والهندسة من غير التجاء الى حساب التفاضل والتكامل وبقي في هذا المنصب الى ان أعفي منهُ ودُعينا للقيام بهِ سنة ١٨٧٣

قلنا ان عقلهُ كان رياضيًّا ودليلنا على ذلك انهُ كان يغوص في المسائل الرياضية وينهل عن غيرها الى ان يهتدي الى حلها والغوص في المسائل وحصر الفكر فيها من الامور الممدوحة ولكنهما يصرفان المرء غالبًا عن مهام الدنيا والاحتيال للعاش ولهذا اشتهر اكثر الفلاسفة بانهم كانوا منقطعين عن العالم غير مهتمين بتعاطي الاعمال او غير مفلحين فيها. وكان صاحب الترجمة من هذا القبيل

ولا بدَّ لترقية العلوم من اناس يشتغلون بها لذاتها فينقطعون عن كل ما سواها ولكن يجب ان يكون في البلاد التي يقومون فيها مدرسة او حكومة تكفيهم مؤونة الاهتمام بالامور المعاشية لكي يتفرَّغوا للمباحث العلمية فلم ينل صاحب الترجمة ذلك ولا ناله غيرهُ من اهل بلادهِ ولا استطاع ان يقاوم ميلهُ الطبيعي ويجري في ميدان الاعمال ويجاري المفلحين فيها مع انهُ حاول ذلك غير مرة

وهو من التلامذة الأوَّل الذين درسوا في مدرسة عبيه الاميركية. ولما انشأ الدروز المدرسة الداودية في عبيه اختاروهُ للتعليم فيها ثم علَّم في مدرسة سوق الغرب الانكليزية قبل انتقالهِ الى المدرسة الكلية. وكان عارفًا باللغة الانكليزية حسن الانشاء باللغة العربية ولهُ فيها نظم حسن اكثرهُ ديني وبعضهُ هزلي. ومن منظوماتهِ امثال سليمان الحكيم ونظمها سلس قريب المأخذ كقولهِ

مخافة القدير رأس الحكمة	فمن حواها حاز كل نعمة
بالحكمة الجهال تستهين	لكن بها الحكيم يستعين
يا ابني اذا اغراك اهل الشر	للسير في طريقهم لا تجر

وقولهِ

لسنَّةٌ يبغضها ربُّ العلى	بل سبعة يكرهها من الملا
عيون كبرٍ ولسان يكذب	ايدٍ جنت قتل الاولى لم يذنبوا
قلبٌ غدا ذا فكرٍ فظيعة	رجلٌ الى جناية سريعة
شاهد زور كذبهُ اشاعا	يزرعُ بين الاخوة النزاعا

وكقولهِ عن لسان الحكمة

لي الرأي لي المشورى انا الفهم الذكي	ولي القوى ولي قويم المسلك
بي تملك الملوك والولاة	وفي القضاء تعدلُ القضاة
قد كنت منذ البدء قنية العلي	مسحتُ في القديم منذ الازل

وقد قدمت هذه القصيدة الى امبراطور المانيا حينما زار سورية فاعجب بطبعها على نفقتهِ

وكان صاحب الترجمة غاية في سهولة التعبير عن مرادهِ حتى في المسائل الرياضية العويصة كما ترى في برهانهِ لقاعدة الخطائين بالجبر فقد برهنها هكذا . قال : ان نسبة الفرق بين المجهول والمفروض الاول الى الفرق بينهُ وبين المفروض الثاني كالخطاء الاول الى الخطاء الثاني هذا اذا اقتصر العمل على الجمع والطرح والضرب والقسمة ولم يدخلهُ ترقية ولا تجذير فاذا جُعل المفروض الاول م والثاني مَ والخطاء الاول خ والثاني خَ والمجهول ك فاذا كان كلا المفروضين اكبر من المجهول تكون النسبة هكذا

م – ك : م – ك :: خ : خَ وبالتحويل الى معادلة والمقابلة والقسمة تصير ك = $\frac{خَ م - خ مَ}{خَ - خ}$

ويسمى خَ م وخ مَ المحفوظين . ويحصل مثل ذلك اذا كان كلا المفروضين اصغر ولكن اذا كان احدهما اكبر والثاني اصغر تصير النسبة هكذا

م – ك : ك – مَ :: خ : خَ وبالتحويل والمقابلة والقسمة تصير ك = $\frac{خَ م + خ مَ}{خ + خَ}$

والعبارتان هما قاعدتا الخطائين اي ان المجهول يعدل الخارج من قسمة فضل المحفوظين على فضل الخطائين اذا كانا كلاهما زائدين او ناقصين . ويعدل الخارج من قسمة مجموع المحفوظين على مجموع الخطائين اذا كان احدهما زائداً والثاني ناقصاً

وكان نقياً ورعاً ليس المحضر كثير الفكاهة في الحديث ولا سيما اذا جلس على الطعام مع الناس اهل ظرف وادب ولهُ القصيدة الفكاهية المشهورة التي يقول فيها

واجلس على الطعام شبه الاسد مربّع الرجلين ممدود اليد
وان تجالس زمرة اكيلة امامهم اطعمة قليلة
اياك ان تكثر الكلاما فتحصر الكلامَ والطعاما

ومن قرأ قصيدتهُ هذه وسمعهُ يتكلم في وصف الطعام الشهي ظنهُ من الفلاسفة الابيقوريين مع انهُ يراهُ من وجه آخر من ازهد الناس في الدنيا ولذلك لم يجمع في شبابهِ وكهولتهِ الا قليلاً من حطام الدنيا ثم انفقهُ في شيخوختهِ

وكان حرّ الضمير لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يراعي مقام كبير ولا وجيه في المجاهرة بالحق مع اتصافهِ باللطف والتواضع التام والبعد عن الدعوى

وكانت ولادتهُ في قرية عاليه بلبنان سنة ١٨٢٦ وتوفي في مدينة بيروت في الخامس والعشرين من شهر مايو الماضي ولهُ من العمر ثمانون سنة